مفاهيم خاطئة في الوسطية
أسبابها، علاجها، الوقاية منها

الأستاذ الدكتور/ صالح بن محمد العقيل
الأستاذ بقسم العقيدة- كلية الدعوة وأصول الدين
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

ملخص البحث:

من طبيعة النفوس الميل إلى الانحراف بصور شتى وطرق متعددة ومن هذه الصور:

- الميل إلى العنف والشدة وتغليبه على الرفق واللين
- الميل إلى التساهل المفرط بحيث لا يقف عند محظور
- التعلق بالمجتمع والركون إليه من غير نظر فيما هو فيه
- تعذيب النفس وحملها على ما تكره ومنعها من الطيبات
- استخدام اللين عند الشدة والشدة عند اللين
- اعتزال المجتمع والبعد عنه وإساءة الظن به ووصفه بالأوصاف المشينة

وهذه المفاهيم لها أسباب عديدة منها: الجهل، التبعية للغير واحسان الظن به، الأخذ بما يقابل ما عليه المخالف، اتباع الهوى وسوء القصد

ومن سبل علاج هذه المفاهيم:

المناصحة والحوار مع المخالف، بيان الآثار السيئة لهذه المفاهيم، المقارنة بين المفهوم الخاطئ والسليم والوقاية من هذه المفاهيم ممكنة بطرق عديدة منها :

التعبد لله والإخلاص له، دعاء الله عز وجل والتضرع إليه بالحفظ والسلامة من السوء، نشر العلم الشرعي الصحيح، الإلتزام بما عليه أهل العلم والفضل فهم أكمل فهماً وأسد رأياً، حفظ المجتمع وعزله عنها .

وللمملكة العربية السعودية تجربة ناجحة في الدعوة إلى الوسطية وتبنيها ومعالجة الانحراف عنها يحسن الأخذ بها والاستفادة منها .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله أما بعد :

فالوسطية خلق جميل وسلوك محبب للنفوس يحقق أهدافاً سامية تجلب السعادة والطمأنينة للمجتمع وتحفظه من الانحراف وتقيه من السلبيات التي تعيقه عن التنمية والرخاء وتحول دون نشر الكراهية والبغضاء بين أفراده

ومن كمال شريعتنا الإسلامية وعدلها واستيفائها لمتطلبات المجتمع كونها وسطية خالصة فلا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تساهل جمعت كمال الأوصاف واجتنبت طرفي الذم الإفراط والتفريط

والنصوص من القرآن والسنة في الحث على الوسطية والتزامها والتحذير من مخالفتها كثيرة وواضحة لا يجد الباحث عناء في فهمها أو الوقوف عليها وهي أنجع دواء يعالج به من عدل عن الوسطية أو استنكف عنها

فالوحي المنزل علينا من ربنا جل وعلا وما صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم كفيل بعلاج أي مشكلة وحل أي معضلة تحول دون الوسطية

وأهل العلم والفضل في هذه الأمة ــ عبر تاريخها الطويل وما اعترضه من انحراف وعدول عن الوسطية ــ لهم قدم صدق في تثبيت الوسطية والترغيب فيها وخلفوا لنا إرثاً حافلاً بالحلول والمعالجات السديدة الموفقة .(١)

ولما كان من طبيعة النفوس البشرية وأحوالها العدول عن الوسطية ومخالفتها وقد تتصور الأشياء على غير حقيقتها وتحسن الظن بمفاهيم مستنكرة وإن كانت في ظاهرها جميلة براقة تخدع من لا يمعن النظر فيها فالنفوس البشرية لا تعدوا قول الله عز وجل [إنا عرضنا الأمانة على السموات...وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا]الأحزاب ٧٢

قال ابن تيمية : والإنسان خلق ظلوماً جهولاً، فالأصل فيه عدم العلم، وميله إلى ما يهواه من الشر . (٢)

(١) رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع، الصوارف عن الحق، الانحراف في الأمة أسبابه، آثاره، سبل مواجهته .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٨/١٤

لذا يتعين توجيه النفوس المنحرفة إلى الصواب وحملها على منهج الاستقامة والاعتـــدال وبيان الآثار السيئة المترتبة على ذلك

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في الدوافع الكثيرة لدراسة المفاهيم الخاطئة للوسطية تحصينا للمجتمع وحفظا لمقدراته ومنجزاته وصيانة لأبنائه وشبابه خصوصا من التـــأثر بهـــذه المفـــاهيم الخاطئة حتى لا تنعكس على المجتمع فتصيبه بآثارها السيئة.

أهداف البحث:

١ ــ التنبيه على بعض ما تتعلق به بعض النفوس من مفاهيم مغلوطة عن الوسطية تعتقد أنها الوسطية وهي بمنأى عنها

٢ ــ بيان الأسباب الجالبة لهذه المفاهيم وسبل تصحيحها ومعالجتها

٣ ــ بيان كيفية الوقاية منها والسلامة من ضررها

٤ ــ التنويه بتجربة متميزة واقعة للوسطية في المملكة العربية السعودية.

وقد جعلته في خمسة فصول وخاتمة .

الفصل الأول : مفاهيم خاطئة في الوسطية

الفصل الثاني : أسباب المفاهيم الخاطئة

الفصل الثالث : سبل التصحيح والعلاج

الفصل الرابع : الوقاية منها

الفصل الخامس : التطبيق العملي للوسطية في المملكة

الفصل الأول : مفاهيم خاطئة في الوسطية

المفاهيم الخاطئة عديدة وتختلف من شخص لآخر وليس بالضرورة أن تحقق بعينها في كل زمن وقد تبين منها ما يلي :

١ ــ الظن بأن الشدة والنزعة إلى العنف هي الكفيلة بتحقيق المثالية وجلب الخير والوصول إلى الغاية المنشودة وأنها هي السبيل الأمثل والمنهج الأقوم أما التزام الهدوء والأناة والنظر إلى عواقب الأمور فهو ضعف وخور وذل واستكانة.

وخلاف هذا المفهوم للوسطية، وبعده عنها يشهد له حديث النبي صلى الله عليه وسلم :

إن الله رفيق يحب الرفق . ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف . وما لا يعطى على ما سواه . (١)

وليتبين الأمر بوضوح أكثر ؛ نستأنس برؤية من عالج المفاهيم الخاطئة، وبلي بها، حتى لا يظن أن ما طرح أمر نظري لا رصيد له في الواقع، يحسن أن نستشهد برجلين جليلين:

أولهما الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز، وثانيهما الإمام التابعي الحسن البصري رحمهما الله تعالى.

عمر بن عبد العزيز كان هو الخليفة، وهو الآمر الناهي لا معارض له في الحكم وسياسة الناس، وفي مجتمعه انحرافات يريد إصلاحها، وسبل يسعى إلى تقويمها ؛ فآثر الأناة والتؤدة، وسلك سبيل الرفق؛ لكن هذا المنهج لم يعجب ابنه الذى رأى أسلوب الشدة والقوة، فقال مخاطباً والده الخليفة :

يا أبة ما يمنعك أن تمضي لما تريده من العدل ؟ فوالله ما كنت أبالي لو غلت بي وبك القدور في ذلك .

قال : يا بني إني إنما أروض الناس رياضة الصعب، إني أريد أن أحيي الأمر من العدل فأؤخر ذلك، حتى أخرج معه طمعاً من طمع الدنيا فينفروا من هذه ويسكنوا لهذه.(٢)

فعمر وهو الممسك بالقوة لم يستخدمها ؛ لقناعته التامة أنها ليست الأمثل، وأن غيرها يحقق الهدف والغاية المنشودة ما لا تحققه .

---

(١) صحيح مسلم ٢٠٠٤/٤، رقم ٢٥٩٣

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ٣٧، السنة للمروزي ١٠٠ ــ ١٠١

ولهذا تحقق في عهده من الاستقرار والطمأنينة ما لم يتحقق في غيره.

فبأي حجة يصار إلى الشدة والعنف وخصوصاً ممن لا يحسن استخدام القوة إذ قد يجلب الكوارث والمآسي .

ثانيهما الإمام الجليل الحسن البصري، الذي عاصر كثيرا من الفتن، وكان فقيهاً بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد اشتهر بسداد الرأي، وبعد النظر، ورجاحة العقل .

يقول : لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يفرج عنهم، ولكنهم يجزعون إلى السيف فيوكلون إليه، فوالله ما جاءوا بيوم خير قط . (١)

فهذا الرأي من هذا الإمام بالصبر والنهي عن استخدام العنف لمعرفته وثقته بأن الصبر يحقق الآثار الإيجابية ويجلب المصلحة المرجوة بخلاف العنف.

وهو نتاج خبرة ومعالجة للمشكلات لم يصدر عن قصور في التصور أو تحقيق مصلحة أحد أو كسب رضاه .

٢ ــ الانغماس في المحرمات، والإسراف في الملذات دون رادع أو وازع، أو تعظيم لمحظور، أو منهي عنه ؛ اتكالاً على سعة رحمة الله، وطمعاً في واسع مغفرته، وركوناً إلى جانب الرجاء دون أي اعتبار لجانب الخوف من الله .

وهذا مفهوم لا يتوافق مع الوسطية، لأنه أخذ بجانب وطرف وهو جانب الرجاء، وإهمال للجانب الآخر، وهو جانب الخوف ؛ فكما أن الأخذ بجانب الخوف دون جانب الرجاء مخالف للوسطية، ومناقض لها، فكذلك من أخذ بجانب الرجاء ؛ فهو مخالف للوسطية .

" ومن رجا الرحمة تعرض لأسبابها، فمن أسبابها التوبة من الزلل، كما أن من رجا أن يحصد زرع، وقد قال الله عز وجل { إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله } البقرة ٢١٨

يعني أن الرجاء بهؤلاء يليق، وأما المصرون على الذنوب وهم يرجون الرحمة فرجاؤهم بعيد . " (٢)

(١) الطبقات لابن سعد ١٦٥/٩

(٢) تلبيس إبليس ٤٤٢

والله عز وجل قد أخبر أنه شديد العقاب كما أخبر أنه غفور رحيم
قال تعالى : { اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم } المائدة ٩٨
وأعلم الناس بالله عز وجل وأتقاهم له كان أشدهم خشية له وخوفاً منه

قال عليه الصلاة والسلام : "والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي ".(١)
وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قام حتى تفطر رجلاه .
قالت عائشة : يا رسول الله أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فقال : يا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً . (٢)

٣ ــ ما عليه المجتمع أو أكثر الناس

ــ من الناس من يستهويه الركون إلى ما عليه المجتمع، أو أكثرية الناس، والتسليم به، وعدم الرغبة في الخروج عنه، ولا يجد في نفسه الحامل للنظر فيما هو فيه، وعن مدى إيجابيته أو سلبيته، أو البحث عن ما هو أفضل منه .
يقول ابن القيم : " ليس مع أكثرهم بل جميعهم إلا ما عسى أن يشذ إلا عادة ومربى ؛ تربى عليه طفلاً لا يعرف غيرها، ولا يحسن به . فدين العوايد هو الغالب على أكثر الناس، فالانتقال عنه كالانتقال عن الطبيعة إلى طبيعة ثانية ". (٣)
وهذا فهم خاطئ، وسلوك لا يرضاه عاقل ؛ إذ يحول دون الاستفادة من الآخرين، ومن المؤكد حاجة الإنسان إلى غيره واستفادته منه .
وقد بين الله عز وجل في القرآن أن ما عليه الناس، أو أكثرهم ليست حجة صحيحة يعول عليها، ويشهد لها بسلامتها من الانحراف {وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين} {وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل }

(١) صحيح مسلم ٧٨١/١، رقم ١١١٠
(٢) صحيح مسلم ٢١٧٢/٤، رقم ٢٨٢٠
(٣) مفتاح دار السعادة ٩٨/١

٤ ــ تعذيب النفس، وحملها على المكاره، وصدها عن الطيبات، وما تهواه النفوس من متاع الدنيا .

هناك من يعتقد أن من الوسطية ؛ تعذيب النفس وحملها على ما تكره، والحيلولة دون ما تهواه، فيحمل نفسه على ترك الزواج، أو يمتنع من أكل الطيبات كاللحوم والحلوى، أو يتقلل من الأكل حتى يضر بصحته، أو يعاقب نفسه بأعمال شاقة كالمشي على قدميه إلى مكة حاجاً أو معتمراً . (١)

قال ابن الجوزي : ومنهم من لا يذوق الفاكهة، ومنهم من يقلل المطعم حتى ييبس بدنه، ويعذب نفسه بلبس الصوف، ويمنعها الماء البارد، وما هذه طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا طريق أصحابه وأتباعهم . (٢)

وكل هذا من الغلو المنافي للوسطية،لم يأت به شرع ولا عقل، وخلاف سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أنس رضي الله عنه :

أن نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر .

فقال بعضهم : لا أتزوج النساء . وقال بعضهم : لا آكل اللحم . وقال بعضهم : لا أنام على فراش .

فحمد الله وأثنى عليه فقال : ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني . (٣)

٥ ــ اللين عند الشدة والشدة عند اللين:

من المفاهيم الخاطئة لدى بعض الناس ؛ أن الوسطية هي استعمال اللين عند الشدة، واستعمال الشدة عند اللين . (٤)

---

(١) تلبيس إبليس ٢٥٥

(٢) تلبيس إبليس ١٨٦

(٣) صحيح مسلم ١٠٢٠/٢، رقم الحديث ١٤٠١

(٤) الصحابة والوسطية ٨٩

وهذا مفهوم خاطئ، وقد يستعمل في بعض الحالات لكن ليس على إطلاقه ؛ فالوسطية تقتضي التيسير، وقد يتطلب الحال استعمال الشدة، وإذا استعملت والحالة هذه فهي اعتدال ووسطية، وقد يقتضي الأمر استعمال الشدة في الشدة

ويتبين خطأ هذا المفهوم من خلال سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فقد وصف عليه الصلاة والسلام الدين بأنه يسر، وأمر باليسر، واختاره ما لم يكن إثماً أو قطيعة رحم .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن الدين يسر ولن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه .. (١)

قال صلى الله عليه وسلم في وصيته لأبي موسى الأشعري، ومعاذ بن جبل حينما بعثهما إلى اليمن : يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا . (٢)

ووصفته عائشة رضي الله عنها بقولها : ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين أحدهما أيسر من الآخر إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً ؛ فإن كان إثما كان أبعد الناس منه . (٣)

فالمنهج السليم الموافق لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم هو اليسر واللين ما لم تكن هناك مخالفة شرعية تقتضي الشدة .

٦ ــ اعتزال المجتمع والبعد عنه

من الناس من يغلب عليه اليأس والقنوط من اصلاح المجتمع ويتبرم من سلبياته حتى يصل به الحال إلى إساءة الظن به وكرهه واطلاق الأوصاف الشنيعة عليه ثم يؤثر العزلة والبعد عنه فيقاطعه مقاطعة تامة .

وهذا منهج شاذ نتج عن قصور فهم صاحبه وهو لا يحقق خيراً ولا يدفع سوءاً مع مخالفته للشريعة .

ولم يزل أهل العلم والمصلحون في كل زمان ومكان يخالطون الناس ويصبرون على ما عندهم من الانحراف رغبة في تقويمهم وإصلاحهم ودفع الشر عنهم مع ما يلاقونه منهم من عنت وأذى . (٤)

(١) صحيح البخاري ١/١٥، كتاب الإيمان، باب الدين يسر .
(٢) صحيح مسلم ٢/١٣٥٩، رقم الحديث ١٧٣٣
(٣) صحيح مسلم ٤/١٨١٣، رقم الحديث ٢٣٢٧
(٤) انظر الغلو في الدين ٤٧٦

الفصل الثاني : أسباب المفاهيم الخاطئة

١ ــ الجهل وضعف البصيرة وعدم الاحاطة بالشيء من جميع جوانبه حتى يظن أن الوسطية في فهمه وفي منهجه فيستحسن مفاهيم سيئة يظنها صحيحة وسليمة من الخلل بسبب قصور علمه وعدم تمكنه من إدراك الانحراف فيها .

" ومنشأ الباطل من نقص العلم أو سوء القصد كما قال تعالى { إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس } " (١) النجم ٢٣

يقول ابن القيم : والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً، فمنها الجهل به، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس ؛ فإن من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله . (٢)

وفي دراسة أجراها بعض الباحثين على بعض طلاب المرحلة الإبتدائية والمتوسطة والثانوية خلص فيها إلى أن الجهل بالأحكام يقود لا محالة إلى التشدد

" تعمدنا في الاستبانة أن نأتي بأحكام يجهلها أغلب الطلاب حتى نثبت أن جهلهم بالأحكام يقود لا محالة إلى التشدد في إصدار الأحكام . (٣)

٢ ــ إحسان الظن بالأكابر، والشيوخ ووجوه الناس، واعتقاد كمالهم في الفهم والعلم، والتسليم لآرائهم، وتلقيها بالقبول، والتهوين من المخالف لها، وعدم السماع منه .

وهذه حجة الأوائل من المخالفين للرسل عليهم الصلاة والسلام { إنا وجدنا أبائنا على أمة}

ولا تزال حجة متبعة ولم تسقط بالتقادم

كان الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي(٤) على منهج مخالف لأهل السنة، ويرى أن سبب ركونه إلى ما هو عليه؛ ما وجده من موافقة مشايخه الذين يعظمهم، ولهم منزلة في قلبه.

يقول رحمه الله : وممن ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها، قوم لهم في صدري منزلة، مثل بعض فقهاء الأشعرية الشافعيين، لأني على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى، عرفت

(١) درء تعارض العقل والنقل ١٧٤/٧

(٢) هداية الحيارى ٣٩

(٣) الصحابة والوسطية في تربية الناشئة ١١٠

(٤) عماد الدين أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي، ابن شيخ الحزاميين كان مشهوراً بالعبادة والزهد والعلم، من مؤلفاته : شرح منازل السائرين ومفتاح طريق الأولياء . توفي سنة ٧١١ . شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٤٥/٨

منهم فرائض ديني وأحكامه، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلى مثل هذه الأقوال وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام لفضلهم وعلمهم . (١)

قال ابن القيم :

وهكذا شأن جميع أرباب المقالات والمذاهب، يرى أحدهم في كلام متبوعه، ومن يقلده ما هو باطل، وهو يتوقف في رد ذلك ؛ لاعتقاده أن إمامه وشيخه أكمل منه علماً، وأوفر عقلاً، هذا مع علمه، وعلم العقلاء ؛ أن متبوعه وشيخه ليس بمعصوم من الخطأ. (٢)

ولا يزال أهل الأهواء يتخذونها سبيلاً لصحة منهجهم، وحسن طريقتهم، فيكيلون المدح لقادتهم ومقدميهم، ويشيدون بهم، ويفضلونهم على غيرهم .

٣ ــ الأخذ بما يقابل ما عليه المخالف

من الناس من يرى انحراف غيره وضلاله، ويتمكن من التدليل على فساد منهجه، ويكشف جوانب القصور عنده، ولعلمه وقناعته بفساد منهج غيره، وأنه مخالف له ؛ يرى أن منهجه وطريقته صحيحة ؛ لخلوه من الفساد والانحراف الذي يعلمه عند مخالفه، فهو لم يستدل على صحة منهجه، وسلامته من الخلل، وإنما تمكن من العلم بفساد مذهب غيره، فدليله : قد ثبت فساد مذهب غيري فمذهبي صحيح فجزم بصحة مذهبه بناء على بطلان مذهب مخالفه . (٣)

وهذا منهج غير سديد، إذ لا يلزم من بطلان مذهب المخالف صحة مذهب من يقابله لأن الحق قد يكون عند طرف ثالث، فلا هو مع هذا، ولا مع هذا .

فالمرجئة لما رأوا بطلان مذهب الخوارج، وأنه لا يمكن بحال التسليم بصحته، ظنوا أن ما هم عليه هو الحق، وخفي عليهم أن الحق ليس معهم، وليس مع خصمهم، وإنما هو مع أهل السنة .

كذلك القدرية النفاة، لما رأوا بطلان مذهب الجبرية، وأنه لا يمكن قبوله، ظنوا أن مذهبهم حق، ولم يعلموا أن الحق عند أهل السنة ليس عندهم، ولا عند الجبرية .

---

(١) النصيحة في صفات الرب جل وعلا للواسطي ١٧

(٢) الصواعق المرسلة ٨٣٦/٣

(٣) انظر : منهاج السنة ٣٤٤/٢، مسألة حدوث العالم ٧١، ١٤٣

٤ ــ اتباع الهوى وسوء القصد

اتباع الهوى، والعدول عن الحق قصداً مع العلم به داء عضال، يصعب التعامل مع صاحبه، وهو داء اليهود الذين أخبر الله عز وجل عنهم بأنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا .

وله أسباب عديدة :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره، ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه، أو لطلب علوه عليه، أو لهوى النفس، ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدي عليه، ويرد ما يقول بكل طريق، وهو في قلبه يعلم أن الحق معه . (١)

واتباع الهوى درجات متفاوتة بحسب وضوح الحق وخفائه.

وقد جاء ذمه في القرآن { ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله } ص ٢٦ وقال { وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم } الأنعام ١١٩

ولما كان اتباع الهوى من أعظم سبل الانحراف، وأكثرها جلباً للسوء ؛ تواردت أقوال العلم قديما وحديثاً على ذمه والتنفير منه، وأكدوا على سببيته في عدول كثير من الناس عن الحق وميلهم إلى الباطل .

قال ابن القيم :

" وهو داء الأولين والآخرين إلا من عصم الله، وبه تخلف الإيمان عن اليهود الذين شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعرفوا صحة نبوته، ومن جرى مجراهم، وهو الذي منع عبد الله بن أبي من الإيمان، وبه تخلف الإيمان عن أبي جهل، وسائر المشركين فإنهم لم يكونوا يرتابون في صدقه، وأن الحق معه لكن حملهم الكبر والحسد على الكفر . (٢)

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٩١/٧

(٢) مفتاح دار السعادة ٩٦

الفصل الثالث : سبل التصحيح والعلاج

١ ــ مناصحة أصحاب المفاهيم الخاطئة، والحوار معهم بصدق، وبعد عن التوبيخ والإزدراء، وكشف حقيقة هذه المفاهيم حتى تتقبل نفوسهم الحق وتنقاد له، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة .

فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي أمامة، قال : إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا .

فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه .

فقال : ادنه فدنا منه قريباً قال فجلس . قال : أتحبه لأمك، قال : لا والله، جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم . قال : أفتحبه لابنتك، قال : لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال : أفتحبه لأختك، قال : لا والله، جعلني الله فداءك . قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم ... فوضع يده عليه، وقال : اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه .

قال : فلم بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء . (١)

٢ ــ بيان الآثار السيئة لهذه المفاهيم، وتعداد المفاسد لها ؛ حتى تتحقق القناعة لمعتنقيها بمدى الانحراف والسلبية لهذه المفاهيم

وهذا الأسلوب استخدمه ابن عباس رضي الله عنه ؛ في مناظرته للخوارج في ما نقموا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إذ قالوا : إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، إن كانوا كفاراً لقد حل سباهم ولئن كانوا مؤمنين ما حل سباهم ولا قتالهم .

قال لهم : وأما قولكم : قاتل ولم يسب ولم يغنم، أفتسبون أمكم عائشة، تستحلون منه ما تستحلون من غيرها وهي أمكم ؟ فإن قلتم : إنا نستحل منها ما نستحل من غيرها فقد كفرتم وإن قلتم ليست بأمنا فقد كفرتم { النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم } الأحزاب ٦، فأنتم بين ضلالتين فأتوا منها بمخرج، أفخرجتُ من هذه ؟ قالوا: نعم . (٢)

(١) مسند الإمام أحمد ٥٤٥/٣٦

(٢) السنن الكبرى للنسائي ٤٨٠/٧ ــ ٤٨١، رقم ٨٥٢٢

فابن عباس رضي الله عنه أبرز لهم المفسدة والأثر السيئ المترتب على قولهم فلم يجدوا بداً من العدول عنه والتسليم بضلاله .

٣ ــ المقارنة بين المفهوم الخاطئ والمفهوم السليم ؛ حتى تتبين منزلة هذا وثمرته، ومنزلة هذا وثمرته، ومن المعلوم أن المفهوم السليم هو الذي يحقق النتائج الطيبة والمفيدة للفرد والمجتمع .

لما تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن قتال علي رضي الله في صفين وقارن بين نتيجة القتال وعدمه قال : ورجحان العمل يظهر برجحان عاقبته .. فإن فضائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها . (١)

٤ ــ أن الموقف السليم تجاه الرجل المعظم، ومن له أتباع يسمعون منه وينقادون له حينما يصدر عنه من تصورات ومفاهيم مخالفة للوسطية يتمثل بأمرين

الأول : أن يعرف له فضله وقدره، وتبقى منزلته في النفوس، وأن لا يسقط بسبب ما بدر منه .

الثاني : أن هذه المفاهيم قاصرة، ولها آثار سيئة فهي إذاً مجانبة للوسطية فلا يتابع صاحبها عليها، ولا يسمع له فيها، وأن منزلته مهما بلغت لا تسوغ متابعته على كل ما يصدر منه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

ومما يتعلق بهذا الباب : أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين، من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة، أهل البيت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروناً بالظن، ونوع من الهوى الخفي، فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين .

ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين :

طائفة تعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه .

وطائفه تذمه فتجعل ذلك قدحاً في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه من أهل الجنة، بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان، وكلا هذا الطرفين فاسد ....

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/٤٤١

ومن سلك طريق الاعتدال ؛ عظم من يستحق التعظيم، وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه .

هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة . (١)

(١) منهاج السنة ٥٤٣/٤

الفصل الرابع: الوقاية منها

الوقاية من المفاهيم الخاطئة، وتحصين المجتمع منها يتطلب رصداً شاملاً لها ويقظة تامة، وأخذاً بالأسباب المشروعة حتى يحال دون وصولها إلى المجتمع ومن هذه الأسباب :

١ ــ الإخلاص لله والتبتل إليه، والتزام أوامره، واجتناب نواهيه فهذا أعظم سبيل لحفظ للشخص من الانحراف والوقوع في المفاهيم الباطلة.

قال الله تعالى { والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا }

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته لابن عباس :

يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف . (١)

فحينما يلتزم الإنسان بأوامر الله وحدوده ؛ يتحقق له حفظ الله ورعايته له عن الانحراف.

قال ابن رجب : فمن قام بحقوق الله عليه ؛ فإن الله يتكفل له بالقيام بجميع مصالحه في الدنيا والآخرة، فمن أراد أن يتولى الله حفظه ورعايته في أموره كلها ؛ فليراع حقوق الله عليه، ومن أراد ألا يصيبه شيء مما يكره ؛ فلا يأت شيئاً مما يكرهه الله . (٢)

٢ ــ دعاء الله والتضرع إليه، والإكثار من سؤاله الحفظ عن الانحراف، والثبات على الاستقامة، وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قالت :

كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم . (٣)

(١) سنن الترمذي ٦٦٧/٤ . وقال هذا حديث حسن صحيح .

(٢) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ٥٣

(٣) صحيح مسلم ٥٣٤/١، رقم ٧٧٠

٣ ــ الالتزام بما عليه أهل العلم والفضل، الذين هم ورثة الأنبياء، وهم مشعل النور والهداية، ويتحقق لهم من التسديد والتوفيق، وإصابة الحق، والحفظ من الانحراف ما لا يتحقق لغيرهم ؛ لتعلقهم بالله وتوكلهم عليه، وعلمهم بشرعه ودينه.

وكثيراً ما كان أهل العلم يوصون بأن لا تتكلم في مسألة إلا ولك سلف من أهل العلم فيما تقوله، أو تفعله حتى لا تقع في الشذوذ والانحراف

قال الإمام أحمد : " إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام " . (١)

" من سلك طريق الأخيار فمن الميل بعيد ؛ لأن ما يتدين به شرع مقبول، أو أثر منقول، أو حكاية عن إمام مقبول، وإنما الحيف يقع في كلام من تكلف الاختراع، ونصر الابتداع، وأما من سلك بنفسه مسلك الاتباع ؛ فالهوى والإحادة عنه بعيدة، ومن العصبية سليم، وعلى طريق الحق مستقيم" . (٢)

٤ ــ حفظ المجتمع من هذه المفاهيم، والحيلولة دون وصولها إليه، وعزله عنها عزلاً تاماً، وسد جميع الثغرات التي قد تنفذ منها إليه وهذا منهج شرعي .

قال صلى الله عليه وسلم :

من سمع بالدجال، فلينأ منه، من سمع بالدجال، فلينأ منه، من سمع بالدجال فلينأ منه، فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فلا يزال به لما معه من الشبه حتى يتبعه.(٣)

فهذا توجيه من النبي صلى الله عليه وسلم بالنأي عن الدجال، والبعد عنه حتى لا يفتتن الإنسان به، أو يغتر بما معه .

ومن المعلوم أن النفوس متفاوتة قوة وضعفاً، فلا يمكن لكل أحد أن يعطي الثقة لنفسه بمعرفة الحق من الباطل أو دفع تزيين أهل الباطل باطلهم، إذ قد يكون المخالف عليم اللسان، قوي الحجة، متمكناً من تسويغ الباطل، وابطال الحق .

فالسبيل الأمثل والحالة هذه هو البعد التام عن المواطن المشبوهة حتى يثق الإنسان بسلامته منها، ويطمئن إلى عدم وصول شيئ مما يكرهه منها .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٩١/٢١

(٢) شرح أصوا اعتقاد أهل السنة ٢٨/١

(٣) مسند الإمام أحمد ١٠٧/٣٣، رقم ١٩٨٧٥، سنن أبي داود ٤٩٥/٤، رقم ٤٣١٩

الفصل الخامس : التطبيق العملي للوسطية في المملكة

منذ تأسيس المملكة العربية السعودية على يد الملك عبد العزيز رحمه الله وهي امتداد للدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب وناصره عليها الإمام محمد بن سعود رحمهما الله.

والدولة لم تزل ملتزمة بالوسطية وداعية لها والآثار على هذا ظاهرة والصور كثيرة والأمثلة والشواهد عديدة .

في المملكة استقرار وطمأنينة وأمن ورخاء، واستفادة من التقدم العلمي الحديث ؛ مع الالتزام بالثوابت الشرعية، ومجانبة الأمور المخالفة للدين، فهي لم تأخذ بكل ما فيه، ولم تتركه مطلقاً وإنما سلكت الأمر الوسط ؛ أخذت بالمفيد السالم من الخلل، وعدلت عن الضار المخالف لدينها ومنهجها الشرعي في الفتوى، والعلم الشرعي، والدعوة إلى الله تعالى، طيلة القرون الثلاثة الماضية منذ بدأ الدعوة الإصلاحية، بكل وضوح تغذية للمنهج الوسطي، وتعظيم لأهل الوسطية من السابقين واللاحقين، وثناء عليهم واقتداء بهم، وتواصل مع من يتبناه ويدعو إليه في داخل المملكة وخارجها، ودعم له ووقوف معه، وعدول عن المخالفين، ومحاربة لهما، وتحذير منهم ومن منهجهم .

ولم يكن يوماً من الأيام مصدراً للغلو أو الانحراف الفكري

ويتبين هذا بأمرين

١ ــ علماء المملكة أمثال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز والشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين الذين انتشر علمهم وفضلهم وحظيت آراؤهم وفتاواهم بالقبول والتسليم، وعرفهم القاصي والداني، وكانوا موضع الثقة، والتعظيم عند كثير من الناس . هؤلاء العلماء يشهد لهم بالوسطية والدعوة لها والحرص عليها ومجانبة الغلو وأهله والتحذير منهما.

٢ ــ هذه الجامعة المباركة الجامعة الإسلامية صورة رائعة للوسطية ومظاهرها سواء في أساتذتها، أو مقرراتها الدراسية، أو انتاجها العلمي، أو طلابها الذين انتشروا في العالم كله، وليس في العالم الإسلامي فقط لم تزل أنموذجاً يحتذى في الاعتدال والوسطية، والبعد عن الانحراف.

ولم يحفظ عنها مع هذه السنوات الطويلة، وكثرة الخريجين، واختلاف بلدانهم ؛ العدول عن الوسطية، أو تبني الإنحراف، أو الإشادة به، أو تقرير مناهجه، أو الإرتباط بالمخالفين، أو الثناء عليهم .

ومن وسطية المملكة ؛ أخذها بأسباب الوسطية، وحيلولتها دون المناهج والسبل المخالفة وحرصها على حماية المجتمع وصيانته من الانحراف، وعملها بالسبل السديدة، الكفيلة بالاصلاح عند حدوث مخالفة للوسطية والاعتدال من بعض أفراد المجتمع، ومن هذه السبل : مناصحة المخالفين والخارجين عن سبيل الاعتدال.

" شرعت المملكة العربية السعودية، عبر مؤسساتها الدعوية، والتعليمية، والأمنية، والإعلامية بمناصحة كل من تأثر بهذا الفكر الضال، وسار في ركابه، وتلوث بجرائمه، فظهرت لجان المناصحة ؛ من العلماء، والخبراء المتخصصين لمحاورة تلك الفئات، ومناصحتهم ومناظرتهم، وقد استفاد بفضل الله كثير منهم، فكان لهذه الدولة حرسها الله قدم سبق في هذا الشأن ".(١)

(١) منهج أهل السنة والجماعة في مناصحة الخارجين على الأئمة والحكام مع بيان جهود المملكة العربية السعودية في ذلك ص ١٢

الخاتمة

النفوس البشرية بطبيعتها عرضة للانحراف والخطأ والدارس لأحوال الناس يجد مفـــاهيم كثيرة خاطئة، ولها أسباب عديدة ويمكن علاجها والوقاية منها ومن هذه المفاهيم

١ ــ الميل إلى العنف والشدة وتغليبه على الرفق واللين

٢ ــ الميل إلى التساهل المفرط بحيث لا يقف عند محظور

٣ ــ التعلق بالمجتمع والركون إليه من غير نظر فيما هو فيه

٤ ــ تعذيب النفس وحملها على ما تكره ومنعها من الطيبات

٥ ــ اعتزال المجتمع والبعد عنه

ومن الأسباب الجالبة لهذه المفاهيم

٢ ــ الجهل المضاد العلم

٣ ــ التبعية للغير واحسان الظن به

٤ ــ الأخذ بما عليه المخالف

٥ ــ اتباع الهوى وسوء القصد

ومن سبل علاج هذه المفاهيم

١ ــ المناصحة والحوار مع المخالف

٢ ــ بيان الآثار السيئة لهذه المفاهيم

٣ ــ المقارنة بين المفهوم الخاطئ والسليم

والوقاية من هذه المفاهيم ممكنة بطرق عديدة منها

١ ــ التعبد لله والإخلاص له

٢ ــ دعاء الله عز وجل والتضرع إليه

٣ ــ الإلتزام بما عليه أهل العلم

٤ ــ حفظ المجتمع وعزله عنها

وللمملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الوسطية وتبنيها ومعالجة الانحراف عنها عمل مميز يحسن الأخذ به الاستفادة منه .

أهم التوصيات:

١ ــ حصر المفاهيم التي ظهرت في المجتمع وتأثر بها بعض أفراده

٢ ــ تكليف من يقوم بدراسة هذه المفاهيم دراسة تامة ويكشف زيفها وخطأها ويزيل بريقها الذي يخدع الناس ويبين ما تنطوي عليه من مخاطر وآثار سلبية على الفرد والمجتمع .

٣ ــ من المستحسن فيمن يقوم بتنبيه الناس إلى سوء هذه المفاهيم وآثارها السلبية أن يكون موضع الثقة والتعظيم عند الناس حتى يكون لقوله وقع وقبول عند الجميع

٤ ــ عند دراسة هذه المفاهيم وإقناع الآخرين بخطئها وفسادها يتعين البعد عن السلبيات كالمبالغة في نقدها أو التجاوز في الحكم عليها حتى لا يكون هناك مجال للمخالف في استغلال هذه السلبية للحيلولة دون قبول نقد هذه المفاهيم أو عدم التسليم بآثارها أو عدم القناعة بالمفاهيم السليمة

٥ ــ نشر العلم الشرعي بين كافة أفراد المجتمع إذ هو السياج المتين لحفظ المجتمع من المفاهيم السيئة

المراجع:

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تصنيف أبي بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق مشهور حسن سلمان، وهشام بن إسماعيل السقا، الناشر المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤١٠
- الانحراف في الأمة أسبابه، آثاره، سبل مواجهته، تأليف د عبد العزيز بن أحمد البداح، ط ٢، ١٤٣٣
- درء تعارض العقل والنقل، تأليف أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق د محمد رشاد محمد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠١
- رسائل ودراسات في الأهواء والافتراق والبدع، تأليف أ . د ناصر بن عبد الكريم العقل، الناشر دار الوطن، ط ٢، ١٤٢٣
- سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، مصورة عن طبعة الدعاس، الناشر دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١
- سنن الترمذي، تأليف محمد بن عيسى الترمذي، الناشر دار الدعوة، استانبول، ١٤٠١
- السنن الكبرى، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق شعيب الإرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢١
- السنة، تصنيف أبي عبد الله محمد بن نصر المروزي، تحقيق د عبد الله بن محمد البصيري، الناشر دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤٢٢
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تأليف أبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق د أحمد سعد حمدان، الناشر دار طيبة، الرياض، ط ١
- الصحابة والوسطية في تربية الناشئة، تأليف عصام بن عبد العزيز الشايع، الناشر مدار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤٢٥
- الصوارف عن الحق، تأليف د / حمد بن إبراهيم العثمان، ط ١، ١٤٢٣
- الصواعق المرسلة على الجهمية المعطلة، تصنيف شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق د/ علي بن محمد الدخيل الله، الناشر دار العاصمة، الرياض ١، ١٤٠٨
- الطبقات الكبير لمحمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق د علي محمد عمر، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤٢١
- الغلو في الدين في حياة المسلمين المعاصرة، تأليف عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٤١٣
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع ابن قاسم، مصور عن الطبعة القديمة

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الإرناؤوط، الناشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٢٠
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، تأليف شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الناشر دار الفكر، بيروت
- منهاج السنة النبوية، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق د محمد رشاد سالم، الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط ١، ١٤٠٦
- منهج أهل السنة والجماعة في مناصحة الخارجين على الأئمة والحكام مع بيان جهود المملكة العربية والسعودية في ذلك، تأليف د خالد بن سعد الزهراني، الناشر مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٣٣ .
- النصيحة في صفات الرب جل وعلا، تأليف أحمد بن إبراهيم الواسطي الشافعي، ابن شيخ الحزاميين، تحقيق زهير الشاويش، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٤، ١٤٠٥
- نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ، تصنيف الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي، ت محمد بن ناصر العجمي، الناشر دار البشائر، بيروت ط ١، ١٤١٠